الجامعات الإسلامية وتعليم العربية
الواقع والتطوير

إعداد الدكتور
رشدي أحمد طعيمة

مقدمة:

تواجه لغتنا العربية على امتداد تاريخها الطويل أزمات متعاقبة، وعثرات متواصلة، وتحديات مستمرة.

ولئن كانت لغتنا العربية ـ حماها الله ـ لكونها لغة الذكر الحكيم ـ تفلت مما يحاك لها، وتستعيد عافيتها، وتواصل مسيرتها فى الحفاظ على هوية الأمة الإسلامية، وتماسك كيانها، وتقوية شخصيتها، وصون تراثها... إلا أن الأزمات المعاصرة والتحديات القائمة التى لا مناص للغتنا العربية من مواجهتها والتصدى لها، قد تشعبت وتعددت مظاهرها، واختلطت أسبابها، وتشابكت كأنها سهام تنوش لغتنا العربية فى أدبها وصرفها، وشعرها، وأساليب التعبير بها وخطها وحروفها.. ما يقتضى الصحوة والاستنفار للنهوض للغة العربية وحمايتها والذود عنها، ولانتشالها من واقعها الحاضر، والأخذ بها إلى المأمول المرتقب.

مظاهر الأزمة

تتجلى مظاهر الأزمة التى تمر بها لغتنا فى عدة ظواهر نذكر منها:

أولا: صعوبة دراسة اللغة العربية وإتقانها دون سائر المواد الدراسية، لسبب يتعلق بمناهجها الحالية وطرائق تدريسها والكتب المقررة والمعلم..

ثانيا: ضعف المستوى اللغوى لدى الخريجين وعدم إتقانهم أو على الأقل قدرتهم على الكتابة الصحيحة أو القراءة السلمية.

ثالثا: تفشى الأخطاء اللغوية فى كتابات الكثيرين من أعضاء هيئة التدريس

بالجامعة وأحاديثهم سواء من المختصصين فى اللغة العربية أو غيرهم.

رابعًا: تردى مستوى الكتابة والخط والمحادثة، بلغة عربية سليمة خالية من الأخطاء النحوية أو الأسلوبية.

خامسًا: شيوع الألفاظ الأجنبية الدخيلة فى الأحاديث والكتابة دون مقتضى.

سادسًا: جنوح أجهزة الإعلام إلى العاميات المتعددة والأخطاء الصارخة فى استعمال الفصحى.

سابعًا: اختلاف المصطلحات وترجمتها فى العلوم المختلفة من أستاذ لآخر ومن مجمع لغوى لآخر.

ثامنًا: طغيان ألفاظ الحضارة الحديثة، والوقوف من ترجمتها أو استحداث مقابل عربى لها، موقف التردد، مما أبعد العربية نسبيًا عن أن تكون لغة الحياة ولغة الحضارة.

هذه الظواهر السلبية الثمانى، تشكل فى مجملها المشكلة اللغوية التى تواجهها العربية فى عصرها الراهن.

وإذا كنا نواجه الآن تحديات جديدة بدخول عصر العولمة والتكنولوجيا، وما يقذف به العلم الحديث، صباح مساء، من ألفاظ جديدة ومصطلحات علمية، وألفاظ حضارة حديثة، بصفة مستمرة، كان علينا أن نواجه هذه المشكلات بما يقتضيها من الحلول، وما تتطلبه من تكريس للجهود، لأنها فى حقيقتها قضية دينية لا مناص لنا من مواجهتها، وتحقيق الانتصار للغة العربية لغة القرآن الكريم لتصبح لغة الحضارة، ولغة الحياة وحتى نضع القضية فى إطارها الدقيق.

نقول : إنها بحق قضية أمة عربية مسلمة مطالبة دينيًا أن تحافظ على لغتها العربية سليمة فصيحة ميسرة ومتطورة، ومطالبة أيضًا بنشرها لأنها لغة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، فالمهمة ذات شقين أساسين: الحفاظ على اللغة وتيسير استعمالها وتطويرها ونشرها فى ربوع العالم لأنها لغة الإسلام..

وإذا صح القول بأن فى أمتنا العربية، العلماء القادرين على النهوض بهذه المهمة، والقيام بهذه المسئولية، فإنها أى هذه المهمة وتلك المسئولية تقع بدرجة كبيرة على رابطة الجامعات الإسلامية.. لأن هذه الرابطة تضم الآن ما يصل إلى تسعين جامعة تنتشر فى قارات الدنيا، إضافة إلى ذلك، فإن الجامعات الإسلامية تزخر بطاقات علمية خلاقة مبدعة، تستطيع بعون الله وبجهود الأمانة العامة للرابطة، أن تستنفر كل الطاقات وتشحذ الهمم، وتشد أزر العاملين المخلصين لهذه القضية اللغوية الهامة، ذات الأبعاد الدينية والسياسية والقومية.. إن لغتنا هى كياننا، وهى السياج المنيع الذى يقوى شخصية الأمة ويحفظ لها هويتها واحترامها..

ومعالجة قضية النهوض باللغة العربية فى الجامعات الإسلامية يقتضى منا أن نفرق بين أمرين:

- تعليم العربية للمتخصصين فيها بالكليات المختصة بتعليم اللغة العربية.
- تعليم العربية لغير المتخصصين فيها.

تعليم اللغة العربية للمتخصصين

الواقع:

١- تعدد الكليات والأقسام التى تعد المتخصصين فى اللغة العربية، ففى بعض الجامعات أقسام للغة العربية بكليات الآداب، وهناك كليات للغة العربية بالأزهر الشريف، ودار العلوم بجامعة القاهرة، فضلا عن قيام بعض كليات الشريعة بتدريس اللغة العربية مقرراً دراسيًا. وقد ترتب على هذا الوضع، تعدد مناحى الفكر، واختلاف التوجيهات، وتباين الرؤى فى إعداد المتخصصين.. فهناك من يركز على الجانب اللغوى فى التخصص وهناك من يركز على الجانب الدينى.

٢- تفاوت مستويات الخريجين فى أقسام اللغة العربية وكلياتها، ولعل ذلك مرده إلى تعدد جهات الإعداد واختلاف المناهج وتباين القدرات.

٣- الافتقار الواضح إلى الثقافة الدينية المتعمقة بين خريجى أقسام اللغة العربية وكلياتها باستثناء الكليات الشرعية.

٤- العجز الملحوظ فى دراسة التراث والبحث فى الذخائر العربية النفيسة بين المتخرجين، وعدم قدرة الكثير منهم على التعمق فى الدراسات اللغوية والأدبية، وذلك لغلبة السطحية فى العملية التعليمية فى بعض الأقسام والكليات، إذ يعتمد بعض أساتذتها فى التدريس على ما يصدرونه من مذكرات جامعية هشة.

٥- النظر إلى المواد التخصصية بعيدًا عن المصادر والمراجع الأصلي ـ أى فروع اللغة العربية ـ كما لو كانت جزرًا منفصلة، ليس بينها ذلك الجسر الذى يجعل منها وحدة متكاملة، فالنحو العربى ـ على سبيل المثال ـ وهو وسيلة لضبط أواخر الكلمات وتحديد معنى الكلمة فى الجملة ـ يتم تدريسه كمادة مستقلة، كما لو كان علمًا مستهدفًا لذاته، دون ارتباط له باللغويات أو اللسانيات أو مجالات الدراسة الأخرى؛ ولاسيما تغيب علاقة النحو بالنص الشعرى أو النثرى.

٦- عدم توافر المناخ الجيد لاستعمال العربية استعمالات لغوية سليمة، فكثير من أساتذة اللغة العربية فى أقسامها، يتفشى فى كلامهم اللحن، ويشيع بينهم استعمال العامية عند تدريسهم لمواد العربية ذاتها، والمعلم ـ كما نعلم ـ قدوة يحتذى، واللغة محاكاة.

٧- عدم إتاحة الفرص العلمية للطلاب للممارسة العربية الفصيحة وتطبيق ما تلقوه استماعًا وكلامًا وقراءة وكتابة.. إذ الملاحظ أن الطلاب فى هذه الأقسام، يقفون موقف المتلقى، دون المشاركة الإيجابية فى العملية التعليمية، واللغة ـ كما هو معروف ـ استعمال وممارسة وليست حفظًا وتلقينًا.

ثانيًا: التطوير:

١- التنسيق بين برامج وخطط أقسام اللغة العربية وكلياتها فى مختلف البلاد العربية والإسلامية، حتى نضمن تقاربًا فى مستوى المتخرجين سواء من حيث العلوم التى يدرسونها أو المهارات اللغوية التى يكتسبونها.

٢- التفكير فى وضع أسلوب تقويمى عام، يمكن تطبيقه على مختلف الكليات والأقسام فى السنوات الأخيرة من برامج تعليم العربية، حتى نضمن ارتفاع مستوى الأداء، وحتى يزداد شعور هذه الأقسام والكليات بالمسئولية وتقارب المستوى..

٣- التفكير فى وضع قائمة معايير لبرامج تعليم اللغة العربية للمتخصصين تلتزم الأقسام والكليات الجديدة بمراعاتها، يعاد تطبيقها وبشكل دورى على الأقسام والكليات الحالية حتى نضمن مواصلة الجودة فى الأداء.

٤- إعادة النظر فى البرامج الحالية والمقررات الدراسية بهذه الكليات والأقسام مما يسمح للطالب بممارسة اللغة وليس فقط دراستها (وهناك فرق بين تعلم اللغة أو التعلم عن اللغة) كما تتاح الفرصة للتعلم الذاتى للطلاب حتى يتدربوا على الاستقلال فى تحصيل المعرفة.

تعليم العربية لغير المتخصصين

الواقع:

١- يتم فى بعض الجامعات تدريس اللغة العربية كمتطلب جامعة يدرسه جميع الطلاب أيًا كانت تخصصاتهم بينما تفتقر الجامعات الأخرى إلى ذلك.

٢- يكاد يأخذ تدريس اللغة العربية لغير المتخصصين فى الجامعات التى يتم

فيها، ذلك الطابع الشكلى الذى يبعد العملية التدريسية عن أهدافها، وهى استمرار وصل الطالب باللغة العربية وآدابها، وتنمية قدرته على الاستخدام الجيد لها.

٣- افتقار برامج تعليم العربية لغير المتخصصين فيها إلى رؤية واضحة للمهارات اللغوية الواجب إكسابها للطلاب، مما يبعد تدريس اللغة لهؤلاء الطلاب عن المطالب اللغوية الحقيقية اللازمة لهم فى الحياة العلمية.

٤- عدم وجود خطة للتعريب تتفق عليها الجامعات المختلفة، مما يدفع بعضها إلى تدريس المواد العلمية بالعربية بينما أحجمت الجامعات الأخرى عن ذلك.

التطوير:

١- مساعدة الجامعات الإسلامية على التحديد الدقيق لأهداف تعليم العربية لغير المتخصصين فيها أو الصياغة الدقيقة للمهارات اللغوية اللازم إكسابها للطلاب.

٢- التمييز بين المهارات اللغوية العامة التى ينبغى أن يدرسها الطلاب، أيًا كانت تخصصاتهم، والمهارات اللغوية الخاصة التى ينبغى أن يكتسبها الطلاب فى كل قطاع من قطاعات التعليم الجامعى (قطاع العلوم التطبيقية - قطاع العلوم الطبية - قطاع العلوم الإنسانية).

٣- وضع تصور جديد للمناهج والمقررات اللغوية التخصصية التى ينبغى أن يدرسها الطلاب فى كل قطاع من قطاعات التعليم الجامعى فى ضوء دراسة علمية ميدانية لما يدرسه الطالب من مقررات تخصصية، وكذلك فى ضوء المناشط اللغوية التى يتوقع أن يقوم بها بعد التخرج.

٤- الحرص على تنمية الذاتية الثقافية العربية الإسلامية عند الطلاب وذلك بتضمين مقررات اللغة العربية لغير المتخصصين، بعض المفاهيم الثقافية

التى تعرف الطالب بالتراث العلمى العربى ودوره فى خدمة الحضارة وذلك فى كل تخصص علمى من تخصصات الجامعة.

تعليم اللغة العربية
فى الجامعات غير العربية

الواقع:

١- توجد فى بعض الجامعات الإسلامية غير العربية، أقسام للغة العربية وآدابها بينما تفتقر الجامعات الأخرى إلى ذلك.

٢- يقوم بالتدريس فى أقسام اللغة العربية، ببعض الجامعات الإسلامية غير العربية، أعضاء هيئة تدريس غير متخصصين، سواء من حيث الأداء اللغوى (إذ إن بعضهم وطنى غير عربى) أو من حيث التخصص فى علوم اللغة وآدابها.

٣- عدم وجود كتب باللغة العربية فى هذه الجامعات تتمشى مع أهداف تعليم اللغة العربية لغير المتخصصين أو تناسب طبيعة الكليات المختلفة.

٤- النظر إلى اللغة العربية على أنها مجرد لغة للعلوم الإنسانية والاجتماعية فقط وليست لغة للعلوم الطبيعية والتكنولوجيا.

التطوير:

١- الوقوف على واقع تعليم العربية فى الجامعات الإسلامية، والتحديد الدقيق للمشكلات التى تواجهها، والتحديات التى تعترض تحقيق أهدافها وذلك فى ضوء طبيعة كل جامعة على حدة، ولعل هذا يفرض البدء بإعداد استبيان يطبق على هذه الجامعات لجمع البيانات اللازمة حول موقع اللغة العربية فيها من حيث: أهداف ومحتوى وطريقة تدريس، وأساليب تقوم.

٢- مساعدة الجامعات الإسلامية غير العربية فى تأليف نوعين من كتب اللغة العربية، أحدهما عام لا يتغير بكلية معينة، والآخر خاص يتناسب مع طبيعة المعرفة فى كل قطاع من قطاعات التعليم الجامعى.

٣- أخذ الظروف الاجتماعية والثقافية للمجتمع الذى يحيط بكل جامعة إسلامية بعين الاعتبار، وذلك عند مساعدتها فى وضع المناهج والمقررات أو اختيار المحتوى الثقافى للمادة اللغوية المقدمة.

٤- تنظيم دورات تدريبية لمعلمى اللغة العربية فى هذه الجامعات، تستهدف تزويدهم بالمهارات اللغوية التى يفتقرون إليها فى مرحلة الإعداد، وكذلك تلك التى تقرها الاتجاهات الحديثة فى تعليم اللغات لغير المتخصصين.

***

obeikandl.com

توصيات عامة

١ - البدء بإجراء الدراسات العلمية الآتية لأهميتها:-

أ- حصر وتحليل التوصيات التى انتهت إليها الجامعات والهيئات العلمية المتعددة حول موقف اللغة العربية وسبل تطويرها.

ب- دعوة الجامعات الإسلامية إلى تحقيق التكامل بين برامجها لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها فى الجامعات الإسلامية سواء على المستوى الأفقى بين الجامعات نفسها فى الجامعة الواحدة، أو على المستو ى الرأسى بين المقررات الدراسية المختلفة فى الجامعة الواحدة.

جـ- تزويد الجامعات الإسلامية فى أفريقيا وبعض دول جنوب شرق آسيا بأساليب التقنية الحديثة لتعليم العربية تعليمًا يحقق أهدافه ويرتفع بمستوى الأداء اللغوى بين الطلاب ، ومن هذه الأساليب التقنية: المسجلات - الفيديو - ومعامل الأصوات، والتأكيد على استخدامها الاستخدام الأمثل.

د- تشكيل لجنة برابطة الجامعات الإسلامية تختص بمتابعة تنفيذ التوصيات الخاصة بتطوير تدريس اللغة العربية فى التعليم الجامعى.

هـ- التمييز عند اختيار المحتوى اللغوى والعلمى المناسب بين تعليم العربية للمتخصصين فيها ولغير المتخصصين فيها.

م- الحرص على تكوين رؤية أشمل لتعليم العربية لغير المتخصصين فى الجامعات الإسلامية، فى ضوء واقعهم الحالى، وما تفرضه المطالب للاستخدام اللغوى فى الحياة بعد التخرج.

ز- التأكيد على قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم والمعارف والتكنولوجيا باعتبارها قد أكدت قدرتها لعدة قرون على أن تكون لغة علم وحضارة، وذلك من خلال الاهتمام بالترجمة والتعريب ومتابعة

المصطلحات الوافدة واختيار اللفظ العربى المناسب والبديل المقبول بدلا من الألفاظ الحضارية الوافدة.

حـ- التنسيق بين برامج تعليم العربية لغير المتخصصين فيها وبين مناهج تعليم العربية فى التعليم الثانوى (قبل الجامعة) للارتقاء بمستوى المتخرجين فى هذه الكليات.

ط- التنسيق مع كافة الجهات العلمية والبحثية المعنوية باللغة العربية مثل المجامع اللغوية، وزارات التربية والتعليم، وكليات التربية، وأجهزة الإعلام والجمعيات الأهلية العاملة فى خدمة اللغة العربية، من أجل تضافر الجهود المعنية بخدمة اللغة، وتكاملها.

❊❊❊